

الوحدة الأولى الفيديو الأول: كيف وصلنا إلى هنا؟

مرحباً. أهلاً وسهلاً بكم في الوحدة الأولى من هذه الدورة، الصحافة في زمن الجائحة: تغطية فيروس كورونا المستجد كوفيد 19 اليوم وفي المستقبل. اسمي مارين ماكين، أنا صحافية وكاتبة مقرّي في أتلانتا. أنا قائد هذه الدورة والمدربة باللغة الإنجليزية. على مدى هذه الأسابيع الأربعة، يمكن أيضاً أن تلتقوا المدربين المعاونين: إيف سياما للفرانكوفونيين، وأماندا روسي، التي ستكون مسؤولة عن الدورة باللغة البرتغالية، وفيدريكو كوكسو، الذي سيقدم الدورة باللغة الإسبانية.

نيابة عنّا جميعاً، شكراً لاختياركم هذه الدورة.

قبل الشروع في موضوع هذا الأسبوع، اسمحوا لي أن أخبركم قليلاً عن مسار العمل. في كلّ وحدة من هذه الدورة، سندرس جانباً واحداً من هذه الجائحة، من الاستعداد إلى الاستجابة، وصولاً إلى إمكانية الوقاية وإلى ما ستؤول إليه حياتنا بعد ذلك كلّ. يكمن هدفنا في التحدّث عن أفضل الأفكار لكتابة القصص وعن أفضل المهارات والممارسات الصحافية التي ينبغي استخدامها الآن. لكننا نعي أنّ هذا وضعٌ جديدٌ لنا جميعاً، لأن العامل المُمرض وراء هذه الجائحة هو فيروس لم يشهده العالم من قبل. لذا، بالإضافة إلى مدربيكم، سيتمّ كلّ أسبوع استضافة عالمٍ أو مصدرٍ خبيرٍ آخر للحصول على معلومات عن الجائحة، وصحافيّ يقوم بتغطية الجائحة ليشارككم بخبراتهم. في هذه الوحدة، سنستمع إلى الخبير الشهير في الأمراض والدفاع الأحيائي مايكل ت. أوسترهولم، والكاتبة والصحافية سونيا شاه.

ملاحظة أخيرة، أنتم المشاركون في هذه الدورة تأتون من أنحاء العالم كافة. إنّه لأمر رائع، لكنّه يمثّل تحدياً أيضاً. فبينما ينتشر هذا الوباء في العالم كلّ، يعاني كل بلد جراه بشكل مختلف، ولكلّ بلد استراتيجيات مختلفة للصحة العامة للاستجابة له وكميات مختلفة من الموارد لإنفاقها. لذا من الممكن أن تكون بعض أفكار القصص التي نوصي بها غير متصلة بالمكان الذي تعيشون فيه أو بالعمل الذي تقومون به الآن.

لكننا نأمل أن تبقوا معنا على أي حال لتجربة هذه الجماعة وقراءة القصص التي نوصي بها. فكروا فيها على أنّها نادٍ للكتب لنهاية العالم. كانت هذه ملاحظاتي الأولى. فلنبدأ عملنا الآن.

في منتصف أيار/مايو 2018، قبل حوالي سنتين، ظهر فيروس في فرانكفورت، ألمانيا. ويعني منتصف أيار/مايو أنّ موسم الإنفلونزا كان قد انتهى، لكن هذا الفيروس تصرف مثل الإنفلونزا، مسبباً السعال والعطس، ما ساعده على الانتقال من شخص لآخر. مرض 316 شخصاً وتوفّي 32 منهم أي نسبة 10 بالمئة.

بعد ذلك، على بُعد محيط في كاراكاس في فنزويلا، مرض 100 شخص بالمتلازمة نفسها. وأصيب بعضهم بالتهاب دماغي، وتورّم في الدماغ، ممّا تسبّب في دخولهم في غيبوبة. في تلك البلاد، توفّي 20 شخصاً. لكن الرئيس الفنزويلي نكر وجود أي تفشٍ أو استمرار الفيروس في الانتشار.

وصل الفيروس إلى الولايات المتحدة عن طريق طالب جامعي عائد من فصل صيفي في الخارج. مع تسابق العامل المُمرض حول العالم، أدرك خبراء الصحة أنه ما من علاج له أو لقاح متاح. بحلول الوقت المتوقع لجهوزيّة اللقاح، بعد 20 شهراً، سيكون مئة وخمسون مليون شخص قد توفّوا حول العالم.

إذا كنتم تشعرون بالإرباك حول كيف يمكن أنكم لم تسمعوا قط عن هذا التفشي الهائل، لا تقلقوا. لم يحدث ذلك حقاً. كانت محاكاة في لعبة حربيّة كتبها واستضافها باحثون في جامعة جونز هوبكنز في بالتيمور في أيار/مايو 2018. أطلق مؤلّفو المحاكاة على مرضهم الخياليّ اسماً خياليّاً، كلايد إكس. لكن الاستنتاج الذي استخلصوه من لعبتهم الحربيّة كان واقعياً تماماً. قالوا إنّه إذا نشأ فعلاً عامل مُمرض وبائيّ، لن يكون العالم مستعداً له.

إنّنا نعرف الآن كم كانوا محقّين.

كلايد إكس كان تحذيراً. فقد كشف أنّ الأمراض تنتقل أسرع ممّا يمكننا تعقبها، وأنّه لا يمكن إنشاء اللقاحات بلحظات معدودة، وأنّه يمكن السياسة أن تعترض طريق الصحة العامة. لكنّ مصممي اللعبة قالوا إنّه يمكن إصلاح نقاط الضعف تلك، في حال توفّر الاهتمام والتمويل والإرادة السياسيّة. مع ذلك، وبالرغم من بلوغهم هذه الاستنتاجات قبل عامين بالضبط تقريباً، إلّا أنّه ما من تدبير واحد اتّخذ للاستجابة لها. أين ما كنت تعملون، من بين القصص التي يمكن كتابتها في تغطية هذه الجائحة هي معرفة ما إذا كانت الخطط قد وُضعت، وإذا كانت موضوعة بالفعل ما إذا تمّ اتّباعها. لم يكن كلايد إكس فريداً. كان واحداً من سلسلة طويلة من التحذيرات حول الأوبئة التي تعود إلى بداية القرن العشرين.

إذا كنتم لم تسمعوا بجائحة إنفلونزا العام 1918 من قبل، من المحتمل أنكم الآن قد سمعتم بها. يُرَجَّح أنها بدأت في الولايات المتحدة بين الجنود المتوجَّهين إلى الحرب العالمية الأولى ثم انتشرت في جميع أنحاء العالم. حصدت إنفلونزا العام 1918 ما يقدر بمئة مليون نفس. تلك كانت الجائحة الكبرى في القرن الماضي ونَيْف، لكنَّها لم تكن الوحيدة. في العام 1957، ظهرت جائحة إنفلونزا أودت بحياة مليون ونصف مليون شخص في أنحاء العالم كلَّه. وتبعها جائحة أخرى في العام 1968 قتلت أقلَّ بقليل من مليون شخص. في العام 1997، انتقلت إنفلونزا الطيور H5N1 إلى البشر في هونغ كونغ. ومنذ ذلك الحين، قتلت أكثر من نصف الأذنين أصابتهم. بالإضافة إلى جائحة إنفلونزا الخنازير H1N1 في العام 2009، التي ربَّما يذكرها بعضكم، وقد بدت خفيفة في ذلك الوقت، لكنَّها قتلت أكثر من 284,000 شخص في العالم.

تلك كانت كلها أوبئة إنفلونزا، لكن برزت أيضاً أوبئة تنفسية أخرى في تلك المرحلة التي امتدَّت على مئة عام ونَيْف. كان سارس (المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة) أوَّل جائحة لفيروس كورونا في العام 2003 نشأت في جنوب الصين. انتشرت في أنحاء العالم كافة، وأصاب أكثر من 8000 شخص بقليل بالمرض، وقتلت 774. ثم تلاه ميرس (متلازمة الشرق الأوسط التنفسية) الذي سبَّبه فيروس كورونا أيضاً. رُصد بدايةً في المملكة العربية السعودية في العام 2012 وقد أصاب حتَّى الآن 2500 شخص، وقتل 858 منهم.

تضمَّن كلُّ من هذه الأوبئة دروساً كان ينبغي بنا استيعابها قبل أن يضرب الوباء التالي. أظهرت إنفلونزا العام 1918 والسارس، بعد 85 عاماً، مدى سرعة انتقال العوامل المُمرضة حول العالم. وبيَّنت إنفلونزا العام 2009، التي نشأت خارج موسم الإنفلونزا العادي، مدى تعقيد إنتاج اللقاح بسرعة وكيف يجب أن نكون مستعدين لمتابعة الآثار الجانبية للقاح.

أثبتت إنفلونزا H5N1 والسارس وميرس جميعها مدى أهمية رصد الطرائق التي تنتقل بها الفيروسات من الحيوانات إلى البشر، لأنَّه لن يكون لدينا أي مناعة أو دفاعات ضدَّ أي فيروس يصيبنا أتياً من أنواع أخرى غير البشر.

أكدت تقشي هذه الأوبئة كلَّها، إضافة إلى أخرى لم أذكرها، ما قد أدركه علماء الأوبئة في جميع أنحاء العالم بالفعل. يزداد عدد الأمراض الجديدة التي تنشأ كل عام وكذلك عدد حالات التفشي سنوياً وبشكل مطرد. بسبب هذه الأوبئة، وضعت منظمة الصحة العالمية دليلاً للتخطيط للأوبئة في عامي 1999 و2005. ونشرت قائمة بالإجراءات التي ينبغي أن تشرع الحكومات الأعضاء فيها باتخاذها. كان من المفترض أن يؤدِّي ذلك إلى تخطيط كل حكومة وطنية تقريباً في العالم لأي جائحة. في الولايات المتحدة، لدينا خطة لمواجهة الأوبئة منذ العام 2005، لكن الولايات المتحدة والعالم لا يزالان غير مستعدين حتَّى بعد جائحة الإيبولا في العام 2014 في غرب أفريقيا التي بيَّنت للعالم كيف يمكن أن تنتشر الأمراض المعدية بسرعة وتزعزع استقرار البلدان والمناطق.

إليك ما قاله الملياردير (بيل غايتس) بعد ذلك مباشرة.

اليوم، إنَّ أكبر خطر لوقوع كارثة عالمية لا يبدو هكذا. بل يبدو هكذا. إذا كان من شيء سيقتل أكثر من 10 ملايين شخص في العقود القليلة القادمة، من المرجح أن يكون فيروساً شديداً العدوى لا حرباً. ليس الصواريخ، بل الميكروبات. الآن، يعود جزء من السبب إلى أننا استثمرنا كميات هائلة من الأموال في الرَّدع النووي. واستثمرنا قلة قليلة في نظام يمكن أن يوقف وباءً. لسنا مستعدين للوباء التالي.

وفي ما يلي ما حدَّر منه البنك الدولي في العام 2017. أصبحنا نعلم الآن أنَّ العالم سيشهد جائحة أخرى في المستقبل غير البعيد. وأصبحنا نعلم أنَّ تحولات عشوائية غالباً ما تحدث بما فيه الكفاية في الميكروبات التي تساعدنا على الاستمرار والتكيف، وأنَّ العوامل المُمرضة الجديدة ستجد حتماً طريقة لخرق دفاعاتنا. بالرَّغم من ذلك، مع تحوُّل الخراب الذي سبَّبه التفشي الأخير إلى ذكرى متلاشية، ننسأهل ولا نولي أهمية للاستثمار في الاستعداد والجاهزية. بالتالي، تُعتبر أهم القصص الآن الكتابة عمَّا إذا أتبع أيُّ من هذه التوصيات حيث تعيشون، سواء في الولايات المتحدة أو كندا أو أوروبا أو في دول الجنوب العالمي؟ هل تمَّت صياغة خطة؟ هل جرى تطبيقها؟ هل غطَّت المستوى الوطني وحسب أو شملت أيضاً الولايات والمقاطعات والمدن وشبكات النقل والمستشفيات وإمداداتها والمدارس والغذاء؟

[00:10:30] ربما يكون الأهم ما الذي أغفلته؟

وفقاً لترتيب دولي يُسمَّى مؤشر الأمن الصحي العالمي، تُعتبر الولايات المتحدة البلد الأفضل تجهيزاً في العالم للتصدِّي للأخطار المُعدية. فقد احتلت المرتبة الأولى من بين مئة وخمسة وتسعين ولاية قضائية. لكن هيئة تعزيز الأمن الصحي في أمريكا التابعة لمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، وهو مجلس مستقلِّ يمثل الحزبين، صرَّحت في تشرين الثاني / نوفمبر الماضي، أنَّ الشعب الأمريكي في الواقع بعيدٌ عن أن يكون بأمان.

وهذا ما تأكد لاحقاً.

في العام 2017، حذرت مجلة تايم ماغازين العالم من أننا لسنا مستعدّين للجائحة التالية. في العام 2018 في مجلة "وايرد"، توقعْتُ أنّه إذا بدأت جائحة تنفّسيّة في الصين، سنتهار سلاسل التوريد للأقنعة ولتجهيزات الوقاية المستخدمة في المستشفيات لأنّ معظمها مصنوع في الصين والصين ستفسخ عقود التسليم للحفاظ على تلك التجهيزات حيث تبرز الحاجة إليها. للأسف، كنتُ على حق.

ستجدون أمثلة أخرى على التخطيط والإخفاق في التخطيط في القراءات الموصى بها والتكميلية لهذه الوحدة. نأمل أن ترشدكم القراءات إلى تطوير أفكار لقصص حول كيف أن الوعي والتخطيط للجائحة تطوّرا ولا يزالان يتطوّران حيث تعيشون. ألقوا نظرة عليها. وشاركونا بأفكاركم في منتدى المناقشة الخاص بهذه الوحدة. وإذا حدث وانضمتم إلى مجموعة فيسبوك الاختيارية، تحدّثوا معنا هناك أيضاً.

يُعتبر مدى استباق الجائحة أو عدمه وإلى أي حد بقي المكان الذي تعيشون فيه مستضعفاً أساسيين لفهم ما سنتحدّث عنه في وحدتنا التالية وهو كيف يتكشّف فيروس كورونا المستجدّ كوفيد 19 اليوم.